

محاضرة

لماذا نتعلم؟

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبد الله المصلح

www.almosleh.com

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده سبحانه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين أما بعد ..

فحمد الله سبحانه وتعالى على ما يسر من تجدد اللقاء في هذا اللقاء الشهري الذي نتناول فيه شيئاً من هدي النبي ﷺ أيها الإخوة الكرام إن موضوع هذا الدرس هو ما قرأتموه لماذا نتعلم؟! إنه سؤال قليل العبارة لكنه يتضمن في جوابه معاني كبيرة وذلك أن المسؤول عنه أمر عظم الله جل وعلا شأنه في كتابه وذكر فضل أهله وبين مناقبهم وحث على الاستكثار منه وكذلك سنة رسول الله ﷺ مليئة بالنصوص الحاثثة على العلم المرغبة فيه الداعية إليه ويكفي أن النبي ﷺ صح عنه كما في حديث أم سلمة أنه كان يستفتح النهار بأذكار منها: ((اللهم إني أسألك علماً نافعاً))^(١) وقد أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ بسؤال الله المزيد من العلم فقد قال جل وعلا: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾^(٢). ولم يأمر جل وعلا رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا العلم وذلك انه مفتاح الفضائل وفيه خير عظيم ، فالعلم كما قال الإمام مالك: خير كله. لكن ينبغي للمتعلمين وللمعلمين ولمن يشتغل بالتعليم على أي وجه كان أن يعرف لماذا نتعلم.

أيها الإخوة الكرام.. إن جواب هذا السؤال يحتاج إلى أن نبين أن أنواع العلم التي يشتغل بها الناس نوعان من حيث الجملة، النوع الأول وهو أشرفها وأعظمها أجراً عند الله عز وجل العلوم الشرعية العلوم الدينية وهذه العلوم هي كل علم يقرب إلى الله جل وعلا علم الكتاب وعلم السنة علم قول الله عز وجل وعلم قول رسوله ﷺ ويدخل في هذا العلم كل ما أعان على فهم كتاب الله وفهم سنة رسول الله ﷺ فإنه يحصل لتعلمه الفضل إذا قصد بهذا التعلم فهم كلام الله وفهم كلام رسوله ﷺ.

أيها الإخوة الكرام.. لماذا نتعلم العلم الشرعي؟؟ لماذا أطال العلماء في الحث على تحصيل العلم والصبر على مضاضة الطلب وما فيه من الكد والعناء؟ هل هو لتحصيل مكاسب

(١) أخرجه أحمد من حديث أم سلمة برقم ٢٥٣١٢ .

(٢) طه : ١١٤ .

قريبة وانتزاع مناصب في الدنيا أم هو لأمر أبعد من ذلك؟ إن طلب العلم الشرعي له مقاصد عديدة من أهمها وأولها أنه يعرف به الله سبحانه وتعالى فالعلم الشرعي أيها الإخوة به يعرف الإنسان ربه سبحانه وتعالى يعرف ما لله جل وعلا من الأسماء وماله من الصفات وماله من الأفعال هذا فيما يتعلق بذاته جل وعلا ، يعرف أيضاً ما يجب له من الحقوق فإن العلم الشرعي هو السبيل الذي يتعرف به الخلق على ربه سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى بعث المرسلين به معرفين وإليه داعين فكل الرسل جاءت تعرف الخلق برهيم وتدلهم عليه وتبين لهم شيئاً من أوصافه ليعرفوه سبحانه وتعالى ويعبدوه وذلك أيها الإخوة أنه لا سعادة للناس في حياتهم ولا لذة لهم في معاشهم إلا بمعرفة الله جل وعلا فان معرفة الله سبحانه وتعالى أصل السعادة ورأسها وهذه السعادة ليست مقتصرة على سعادة الدنيا فحسب بل هي التي تبقى بعد الموت وتنفع في الآخرة فلذة العلم بالله جل وعلا ومعرفته سبحانه وتعالى فوق كل شيء فالعلم بذاته يستلزم العلم بما سواه لأن من عرف الله تفتحت له أبواب العلم وأبصر السبيل واستضاء له الطريق فلا يحتاج بعد ذلك أكثر من العلم بالله جل وعلا لأن به يفتح كل مغلق ويحصل به كل مطلوب أما من لم يعرف ربه جل وعلا فإنه عن كل خير غافل قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) فتأمل هذه الآية تجدها فيها أن الله عز وجل تهدد من نسيه بأنه سبحانه وتعالى ينسيه نفسه ومن نسي نفسه أيها الإخوة كيف يعرف مصالحها؟ كيف يعرف فلاحها؟ كيف يستقيم معاشه فضلاً عن معاده؟

إن من غفل عن الله عز وجل ونسي ربه سبحانه وتعالى يصدق عليه قوله جل وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٤) فإن من غفل عن الله عز وجل وعن ذكره انفرط عليه أمره ولم ينتظم له شيء من الأشياء بل تفوته مصالح دينه ومصالح دنياه وهذا أيها الإخوة ليس مبالغة في بيان أهمية العلم بالله عز وجل بل هذا هو الواقع وليس ما نراه عند الكفار من إتقان عمارة الدنيا من تشييد المباني وإتقان

(٣) الحشر : ١٩ .

(٤) الكهف : ٢٨ .

المصنوعات والسبق الحضاري ليس ذلك أمام ما فاتهم من الخيرات التي في الدنيا والخيرات التي أخبر بها جل وعلا في الآخرة ليس ذلك بشيء إنما هو كما قال الله جل وعلا: ﴿كُلُوا وَتَمَتُّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾^(٥) فهو أكل وشرب وتمتع قليل لكنه لا يتزع عنهم هذا وصف الإجمام.

أيها الإخوة الكرام.. إننا نطلب العلم الشرعي لنعرف به نبينا ﷺ الذي بعثه الله حجة على الإنس والجن بعثه الله سبحانه وتعالى بين يدي الساعة بالحق بشيراً ونذيراً يدعو إلى الله عز وجل، يبلغ الرسالات، يبصر من العمى ويهدي من الضلال فمن أقبل على العلم الشرعي عرف النبي ﷺ وإذا عرف النبي ﷺ وعرف ما جاء به تيقن صدق ما جاء به ﷺ فإن أهل العلم يعرفون صدق ما أخبر به ﷺ لأنهم بما معهم من العلم يدركون صحة خبره ﷺ فيما عقلوه من معاني هذا الكتاب العظيم وفيما أدركوه من آيات الله عز وجل في الأنفس والآفاق قال الله جل وعلا: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٦) وقال جل وعلا: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾^(٧) ولا يمكن أن يكون منهم هذا إلا إذا صدقوا بما جاء في الكتاب فإتهم يخرون تعظيماً لله عز وجل وتعظيماً لكلام الله سبحانه وبحمده وتعظيماً لما جاء به النبي ﷺ من الحق والهدى والنور.

أيها الإخوة الكرام.. إن من فوائد تعلم العلم الشرعي أن العلم الشرعي يعصم العبد من الوقوع في أعظم الظلم وهو الشرك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٨) فاستشهد الله سبحانه وتعالى العلماء دون غيرهم من الناس على أعظم مشهود وهو أنه لا إله إلا هو سبحانه وبحمده أنه المتفرد بالألوهية واستشهد الله للعلماء بيان لفضلهم وأنه تزكية لهم لأنه لا يمكن أن تقبل شهادة

(٥) المرسلات : ٤٦ .

(٦) سبأ : ٦ .

(٧) الإسراء : ١٠٧ .

(٨) آل عمران : ١٨ .

أحد ما لم يكن عدلاً فاستشهد الله سبحانه وتعالى العلماء على أعظم مشهود وهو التوحيد وكان في ذلك تعديل لهم لأن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول قال الله سبحانه وتعالى في بيان ما كان عليه أهل الجاهلية لما فقدوا العلم قالوا: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يُعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٩) فهذه وصية بعض الجهال من المشركين لأتباعهم ولمن يسمع نصيحهم لكنه متى كان هذا؟ كان هذا لما نسي العلم وارتفع أثره ولم يبق لدى الناس له وجود عبد هؤلاء الأصنام من دون الله عز وجل فالعلم يعصم الإنسان من الشرك، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في بيان معنى هذه الآية كان هؤلاء رجالاً صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا على مجالسهم أنصاباً وسموها بهم فنصبوا الأنصاب ليتذكروا عبادة هؤلاء وسموها بأسمائهم لينشطهم هذا على شدة السعي للخير والعمل به ففعلوا ولم تعبد أي لم تعبد فترة من الزمن حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبت ومن هذا نفهم أن نسيان العلم سبب لكل شر بل هو سبب لأعظم الشرور وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى أيها الإخوة قال رسول الله ﷺ: ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))^(١٠) وإن المتأمل الناظر لهذا الترتيب للفضل يعلم أن هذا الترتيب للفضل إنما هو بالنظر إلى ما مع القرن الأول من العلم والإيمان ، فلما كان القرن الأول سابقاً في العلم والإيمان كان متقدماً على غيره من القرون وهكذا القرن الذي بعده والقرن الذي بعده ولا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وذلك بسبب نقص العلم فانه كلما تقدم الزمن وكلما مضى الدهر كلما قل العلم في الناس ولا يقل برفع العلم فإن الله لا يرفع العلم ولا ينتزعه انتزاعاً من صدور الناس إنما ينتزعه بموت العلماء.

أيها الإخوة الكرام.. إننا نطلب العلم الشرعي لأن العلم الشرعي به تكمل الأخلاق الفاضلة وبه يحصل الإنسان محاسن الخصال ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(٩) نوح : ٢٣ .

(١٠) أخرجه البخاري في الشهادات برقم ٢٤٥٧ .

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ فالله جل وعلا أخبر بأنه من على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم ما مهمته؟ ما وظيفته؟ ما عمله؟ يتلو عليهم آياته ويزكيهم يتلو عليهم الآيات التي جاءت في كتاب الله عز وجل والتلاوة هنا ليست تلاوة اللفظ فقط بل هي تلاوة اللفظ والمعنى فهو يبين لهم بقوله وفعله ما أنزل الله جل وعلا من الكتاب المبين ويزكيهم والتركية هي التدرج بالنفس إلى أعلى درجات كمالها فالنبي ﷺ بعثه الله مذكيا مكملا للأخلاق ولذلك جاء في مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))^(١٢) قال أنس رحمه الله: إذا قل العلم ظهر الجفاء. فالخلق الفاضل والسجايا الكريمة تنبع أيها الإخوة عن العلم الشرعي فإذا أقبل الإنسان على تعلم كتاب الله عز وجل تعلموا وعلى سنة النبي ﷺ تلقيا بصدر منشرح وهمة عالية ورغبة في الخير فإنه لا بد وان تزكو أخلاقه ولا بد أن يظهر للعلم أثر في أخلاقه في قوله في عمله في هديه في سمته في سائر شأنه.

أيها الإخوة .. مدح الله جل وعلا في كتابه صفات كثيرة وأثنى على أهلها واعلم أن كل صفة مدح الله بها العبد إنما منشؤها العلم وهذا يبين لك أهمية العلم وأن العلم به تكمل الفضائل به تحصل على السبق في ميادين الخير والبر والشرف وان من قعد عن العلم فقد قعد عن تكميل أخلاقه لقوله ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))^(١٣). أيها الإخوة .. إننا نطلب العلم الشرعي لأنه به يعصمنا الله جل وعلا من الفتن والفتن كثر في هذا الزمان وهي على مر الوقت ستكثر لأنه كلما تقدم الوقت كثر أسباب الضلال وأسباب الزيغ وأسباب الشر على مر العصور كما قال النبي ﷺ: ((لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه))^(١٤).

(١١) آل عمران : ١٦٤ .

(١٢) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة برقم ٨٥٩٥ .

(١٣) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة برقم ٨٥٩٥ .

(١٤) أخرجه البخاري في الفتن برقم ٦٥٤١ .

أيها الإخوة .. إنما العلم الشرعي حصن يتدرع به الإنسان من الوقوع في شرك الفتن سواء كانت الفتن من فتن الشهوات أو من فتن الشبهات قال الله جل وعلا في بيان أثر العلم في إزاحة العصمة من كل فتنة: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ﴾^(١٥) وهذا شأن المنافقين وعملهم إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به أي أشاعوه ونشروه دون أن يترووا هل في إشاعته مصلحة للمؤمنين وأهل الإسلام أو لا قال الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١٦). فالعلم سبب للحفاظ وصيانة من الوقوع في أسباب الشر.

أيها الإخوة .. إن الفتن كما ذكرنا تكثر مع مرور الوقت كما قال النبي ﷺ في حديث أبي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: ((إن بين يدي الساعة أياماً يُرفع فيها العلم ويترل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج))^(١٧) والهرج القتل أي كثرة القتل في الناس وانظر حيث ذكر النبي ﷺ في بيان أول ما يصاب به الناس بين يدي الساعة فذكر رفع العلم لما لرفع العلم من الشر الذي يصيب الناس، ويبين هذا أن النبي ﷺ قال في حديث أنس رضي الله عنه: ((إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل والزنى وشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد))^(١٨) وهذا يبين لنا أيها الإخوة خطورة ارتفاع العلم وأن ارتفاع العلم من المجتمع سبب للوقوع في أنواع الفتن وأنواع الشرور.

وأنت أيها الأخ إذا تأملت مسيرة الأمة تجد أن عمل الصحابة رضي الله عنهم في ذب الفتن والبدع وفي رد الشرور كان أعظم من عمل من بعدهم وأن الشرور في وقتهم والفتن في وقتهم لم تنتشر وتشيع كما كانت في العصور التي كانت بعد عصر الصحابة وعصر التابعين ثم من بعدهم.

(١٥) النساء : ٨٣

(١٦) النساء : ٨٣

(١٧) أخرجه البخاري في الفتن برقم ٦٥٣٨

(١٨) أخرجه البخاري في النكاح برقم ٤٨٣٠

إن بوادر الفتن التي ظهرت في عهد الصحابة رضي الله عنهم كانت بوادر خفيفة وليست من الفتن المغلظة والبدع الشديدة التي يحصل بها زيغ القلوب وطيش الأبواب.

أيها الإخوة .. إن التمسك بالعلم والإقبال عليه سبب لأن يقذف الله جل وعلا في قلب العبد النور الذي يحصل به الفرقان بين الحق والباطل وما أحوج الإنسان إلى أن يقذف الله جل وعلا في قلبه نوراً يمشي به في الناس يميز به بين الحق والباطل بين الهدى والغى بين الرشاد والضلال إننا نحتاج إلى هذا النور وهذا النور سبب ووسيلة تحصيله تقوى الله جل وعلا مع العلم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٩).

القلوب إذا ملئت بالعلم تحصنت من الوقوع في الشبهات و تحصنت من أن تقر فيها الشهوات على وجه الدوام بل كل شبهة ترد على القلب يردها القلب بقوته وصلابته وكل شهوة تترك أثراً في القلب يردها القلب بما معه من الإيمان الصادق والإقبال على الله عز وجل والتوبة والاستغفار فلا يبقى في قلبه شيء من الشبهات ولا شيء من الشهوات قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (٢٠) إن الذي أعطي النور هو الذي استمسك بالعلم الشرعي بالكتاب والسنة، والذي بقي في الظلمات هو ذلك الذي أعرض عن كتاب الله عز وجل وعن سنة رسوله ﷺ.

أيها الإخوة الكرام .. إننا نطلب العلم لأن الله سبحانه وتعالى بين في كتابه فضل العلم وفضل أهله ورتب الأجور العظيمة والفضائل الكثيرة على تحصيل العلم وعلى طلبه ولذلك ينبغي لمن رغب في تحصيل تلك الفضائل أن يسعى في تحصيل العلوم الشرعية فإن العلوم الشرعية سبب لتحصيل تلك الفضائل كقول الله جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

(١٩) الحديد : ٢٨

(٢٠) الأنعام : ١٢٢

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿٢١﴾ وهذا فيه دعاء لكل أحد أن يسعى إلى الترقى في درجات الخير في درجات البر والإحسان في الاستكثار من العلم فكلما كثر علمك بالله عز وجل كلما كثر علمك بسنة النبي ﷺ كلما ارتفعت درجتك وعلت قدمك وقد قال النبي ﷺ: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))^(٢٢) أي يرزقه الفقه في الدين أي في الشرع في ما جاء به النبي ﷺ من كتاب الله عز وجل وسنته ﷺ.

أيها الإخوة .. إن أهل العلم هم خلاصة الوجود وهم الذين بهم يحفظ الله سبحانه وتعالى الأمة من الزيغ والضلال هم الذين تكفل الله جل وعلا بنصرهم في قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم - وفي رواية - من خالفهم - حتى يأتي أمر الله عز وجل))^(٢٣) فمن أراد مثل هذه الفضائل فليقبل على العلم الشرعي ليقبل على كتاب الله عز وجل حفظاً وفهماً وعلى سنة النبي ﷺ درساً وضبطاً وفهماً لكلامه ﷺ ، ليقبل على حلق العلم، ليقبل على المعاهد ودور التعليم فإن فيها خيراً عظيماً بما يحصل للإنسان مبادئ العلم التي تنير له السبيل ومن خلالها يستطيع أن يتوصل إلى خير عظيم فإن حلق العلم ودور التعليم إنما هي بوابات فيها المفاتيح التي تفتح لك أبواب العلم ثم بعد ذلك يفتح الله جل وعلا على العبد على حسب ما معه من الإيمان والتقوى والرغبة والإخلاص وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أيها الإخوة الكرام.. إن من فوائد ومنافع طلب العلم أن العلم من أهم ما يحتاجه من يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل فلا يسوغ لمن يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل والدعوة إلى الله هي أشرف المقامات لا يسوغ له أن يكون جاهلاً بل لابد وأن يكون عالماً، عالماً بأي شيء؟ عالماً بما يدعو عالماً بمن يدعو إليه، فمن علم من يدعو إليه وبما يدعو فإنه داخل في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ

(٢١) المجادلة : ١١

(٢٢) أخرجه البخاري في العلم برقم ٦٩ .

(٢٣) أخرجه أحمد من حديث ثوبان برقم ٢١٣٦٩ ولفظ (من خالفهم) برقم ٢١٣٦١ .

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٤﴾. فالعلم أيها الإخوة هو الذي يثمر البصيرة التي أثنى الله عليها في كتابه وأثبتها الله عز وجل لرسوله في قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي أنا ومن اتبعني على بصيرة ندعو.

أيها الإخوة .. إن الناس في هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى من يبصرهم بالله عز وجل إلى من يدعوهم إلى الهدى وهذا ليس خاصاً بأهل الإسلام فحسب أهل الإسلام يحتاجون إلى دعوة من أهل العلم ممن عرف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يحتاجون إلى من يعلمهم القرآن ويفهمهم القرآن ويبين لهم معاني القرآن يحتاجون إلى من يعرفهم بالله عز وجل ويعرفهم بدينه وما يجب له سبحانه وتعالى ولا تنظر إلى محيطك الضيق الذي تعيش فيه فإن الأمة بحاجة ماسة إلى العلم بل إن الإمام أحمد رحمه الله قال: إن حاجة الناس إلى العلم فوق كل حاجة. يقول رحمه الله: الناس محتاجون إلى العلم قبل الخبز والماء لأن العلم يحتاج إليه الإنسان في كل ساعة والخبز والماء في اليوم مرة أو مرتين العلم أيها الإخوة يحتاجه المسلمون وغيرهم يحتاجونه بعدد الأنفاس كلما كثر علم الإنسان كلما كانت بصيرته ونظره وعبادته وتقواه وصلاحه ونفعه أكبر، ولذلك ينبغي لنا أن نحرص على الاستكثار من العلم وأن نشيع العلم الذي تعلمناه بين الناس فإن إشاعة العلم ونشره مما يثبت العلم ويزكيه وينميه.

أيها الإخوة .. إن أمتنا الإسلامية في هذا الوقت هي بحاجة إلى العلم لكثرة ما في بلدان المسلمين من الجهل بالله عز وجل وذلك يظهر بمظاهر الشرك الكثيرة المنتشرة في بلاد المسلمين يظهر أيضاً بالبدع الكثيرة التي انتشرت في بلاد المسلمين يظهر أيضاً بتقصير كثير من المسلمين فيما أوجبه الله عليهم ومن ذلك تقصيرهم في ثاني أركان الإسلام في الصلاة فإن كثيراً من المسلمين يقصرون فيها إما أنهم لا يؤدونها ولا يقومون بها في أوقاتها التي أمر الله بها أن تقام فيها وإما أنهم يقصرون فيها بالتأخير أو بأنهم لا يقيمونها على وجهها تظهر حاجة الأمة إلى العلم بما نشاهده من الدعاوى المنحرفة التي تشيع بين المسلمين وتنتشر

بينهم وتروج في أعلامهم وأقوالهم وكتابتهم وبلدانهم، إننا بحاجة إلى أن نبصر المسلمين بدينهم لما تشهده الأمة من هجمة عظيمة على الإسلام في هذه الأيام الأخيرة فان أعداء الإسلام ضاقوا بالإسلام ذرعاً وبدؤوا يشككون فيه ويبحثون عن ما يصور لهم أنه تشوه فيه أو ضعف فيه والضعف في عقولهم والتشوه في أذهانهم وأما كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ فهو الحق المبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أيها الإخوة الكرام.. إننا بحاجة إلى العلم لندعو غيرنا من الناس لندعو غير المسلمين فإن الناظر إلى جمهور الناس يرى أن المسلمين لا يشكلون إلا خمس العالم وهذا بالنسبة لمجموع الناس عدد قليل ينبغي للأمة أن تجهد وأن تبذل ما تستطيع في سبيل إيصال هذه الرسالة التي أنقذ الله جل وعلا بها الناس وأخرجهم بها من الظلمات إلى النور فهؤلاء يحتاجون إلى دعوة تبين فيها محاسن الإسلام يبين فيها ما في هذا الدين من جوانب العظمة وكله عظيم يبين فيها بطلان ما يدعيه أعداء الإسلام من أن هذا الإسلام فيه وفيه من الشبهات التي يثرونها وهي في الحقيقة:

شبه تمافت كالزجاج تخالها حججاً وكل كاسر مكسور

فالجميع لا حجة فيه بل هي شبه وخيالات وظنون فاسدة إما ناشئة عن فساد نية أو ضعف علم فإذا كمل العلم وصحت النية انبهر العالم بما في هذا الدين من النور الساطع المبين الذي يخرجهم الله عز وجل من الظلمات إلى النور كل هذه الأسباب من اجلها نتعلم العلوم الشرعية، أما ما يتعلق بالعلوم الدنيوية المدنية فإن العلوم الدنيوية المدنية واجبة على الأمة لاسيما في هذا الوقت الذي تعيش الأمة سباقاً حضارياً لا يعرف توقفاً لا يعرف كلاً ولا مللاً بل إن الأمة يسابقتها أمم يصلون الليل بالنهار في سبيل تحصيل العلوم ثم في سبيل تسخيرها والاستفادة منها في تحقيق العز للأمم والدول والمجتمعات.

إننا نحتاج للعلوم بشتى صنوفها في الصناعة، في الطب، في جميع مجالاتها التجريبية والمدنية وذلك لأن بها يحصل فرض الكفاية التي من خلالها تستغني الأمة عن غيرها ومن خلالها

تخرج الأمة من كونها فتنة للذين كفروا فإن من صور افتتان الكفار ما عليه المسلمون اليوم من الضعف والانكسار والتقهقر الحضاري الذي جعل المسلمين في آخر الركب.

ومعلوم أيها الإخوة أن السابق لا يمكن أن يقتدي بمن يراه دونه في التقدم والرقى فلا بد للأمة أن تطلب هذه العلوم لتخرج من هذا الحيز من هذا الموضوع الذي جعلها فتنة للذين كفروا حيث أن كثيراً من الكفار يصددهم عن الإسلام ما عليه المسلمون من ضعف وتقهقر وتشردم وتشقق وعدم استمساك بالدين الحنيف وعدم عمل به.

أيها الإخوة الكرام.. إن العلوم في شتى أنواعها لم تعلم ولم تبذل فيها الأموال ولم يجتهد فيها المرءون والمعلمون على مستوى العالم كله لأجل أن تكتسب بها الوظائف وتحصل بها الأموال أن اكتساب الوظائف والأعمال والمناصب ليس سبيله التعلم فحسب أن حصول المال من غير طريق العلم أقرب ولذلك تجد أن أكثر الأثرياء إنما حصلوا ثروتهم من غير العلم فالعلم ليس سبيلاً للتكسب بل إنه قد ثبت بالدراسات أن أقل الناس دخلاً هم الذين يشتغلون بالعلم، فالعلم ليس وسيلة لتحصيل المكاسب الدنيوية إذا كان كذلك ينبغي لنا أن نصحح النية ومن كان غرضه من العلوم الشرعية خاصة أن يحصل بها المكاسب الدنيوية فليذهب إلى غير هذا الميدان وليبحث عن غير هذا السبيل فإنه من طلب علماً مما يتغنى به وجه الله لا يطلبه ولا يتغنى إلا لدنيا يصيبها لم يرح رائحة الجنة^(٢٥) كما قال النبي ﷺ وقد قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْجِسُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢٦). بل إن العلوم الدنيوية لا تطلب لأجل التكسب فحسب بل إن الأمم تدفع الأموال وتشيد المدارس وتبذل الميزانيات الطائلة في سبيل التعليم لا لأجل وجود الوظائف للمتعلمين بل لأجل السبق الذي يحصل به رقي الأمة بمجموعها.

(٢٥) أخرجه أبو داود في كتاب العلم برقم ٣١٧٩.

(٢٦) هود: ١٥-١٦.

أيها الإخوة الكرام.. هذه لمحة عن هذا السؤال أو في جواب هذا السؤال الذي لا بد أن نشغل في طلب الجواب عنه في مجالسنا وفي دراستنا وفي عملنا لأن الجواب عنه يختصر علينا ويلخص لنا شيئاً كثيراً قد نجهله ووجود هذا السؤال في أذهاننا يفيدنا فائدتين:

الفائدة الأولى تحديد الغايات وتحديد الغايات مما يعين الإنسان في السعي إلى تحصيلها ،
الفائدة الثانية أن ننظر ونقيس سيرنا في تحقيق هذه الغاية فإذا اجبنا على السؤال يمكننا بعد ذلك أن نقيس ما الذي حصلناه؟ ما الذي حققناه مما لم نحققه في سبيل التعلم أسأل الله عز وجل أن يرزقني وإياكم العلم النافع وأن يجعلنا من أئمة الهدى العاملين به وأن يوفقنا وأمتنا إلى نشر العلم والدعوة إليه والعمل به وصلى الله وسلم على نبينا محمد.